

إشكالية الخطاب الديني السياسي للثورتين العربيتين التونسية والمصرية

والفضاء العمومي الرقمي

-مقاربة اتصالية اقناعية من منظور مدرسة التحليل النفسي عند سيجموند

فرويد -

تاريخ النشر : 2020/06/01

تاريخ الاستلام: 2019 / 05/20

الأستاذة: محمد بلقاسم صبرينة

جامعة وهران 1 احمد بن بلة

الأستاذة الدكتورة: بن غربية فلة

جامعة وهران 1 احمد بن بلة

الملخص

تتناول هذه الدراسة الخطاب السياسي وأبعاده الدينية وعلاقته بالفضاء العمومي الرقمي، وقد تجلى هذا الخطاب بشكل واضح في الثورتين الشعبيتين التونسية والمصرية، حيث لعبت وسائل الإعلام الجديد دورا بارزا في تجنيد الجماهير، ولعب المضمون الديني للخطاب دورا هاما من خلال توظيف الرموز الدينية والشعارات.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي، الدين، الفضاء العمومي الرقمي، الثورة المصرية، الثورة التونسية

ABSTRACT:

This study deals with political discourse and its religious dimensions and its relationship to digital public space, and this discourse was clearly demonstrated in the Tunisian and Egyptian popular revolutions, where the new media played a prominent role in recruiting the masses, and the religious content of the speech played an important role by employing religious symbols and slogans.

Keys Words: Political discourse, religion, digital public space, the Egyptian revolution, the Tunisian revolution.

مقدمة

إن المجتمع هو نسق من البنى الفردية والمؤسسية، التي تساهم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، في تأطير الأفراد نحو وجهة سوسيو ثقافية، تتحدد معالمها من خلال السمات المشتركة للبناء الاجتماعي، والتي تميز من مجتمع إلى آخر، ويصف الدكتور عزي عبد الرحمن العلاقة بين وسائل الإعلام والاتصال وبين المنظومة القيمية الاجتماعية ب «المخيال المجرد»¹.

إلا أن النظام الاجتماعي عرضة لعاملي: التطور والتغيير، ومن شأن هذه الدافعية أن تؤدي إلى إفرزات ثقافية مستحدثة، لتسهم بدورها في إعادة صياغة البنى: الثقافية الاجتماعية، وكذا البنية الثقافية السياسية، التي تتمظهر في الخطاب السياسي بشتى أنماطه: رسمي، حزبي، طائفي، حقوقي سياسي، ديني سياسي.... إلخ.

ومن دوافع التغيير الاجتماعي والثقافي السياسي التي شهدتها المنطقة العربية في السنوات الأخيرة، ظاهرة الثورات العربية التي تعتبر عوامل تحول لمختلف الأنساق: الاجتماعية، السياسية، والثقافية في هذه الدول، وخاصة السيكولوجية، ولقد تجسدت هذه المدخلات، في عدة مخرجات تمفصلها الخطاب الديني السياسي، الذي حظي بمتابعة الأكاديميين والمراقبين الدوليين، نظرا لأهمية اقتران عاملي الدين والسياسة بالخطابة المهيكلة عبر الوسائط الإلكترونية.

وظهر فارق نوعي على هذا المستوى من التحليل، بين حالتي الثورتين التونسية والمصرية، وذلك من حيث اختلاف المرجعيات الفقهية الدينية في التأطير الخطابي لطبيعة تسيير الشأن العام في سياق الثورتين التونسية والمصرية.

ومن حيث التضارب في النظر إلى مفاهيم السياسة الشرعية، وأوجه إسقاطها على الواقع السياسي للدولتين، بالإضافة إلى إستحداث خلافات ظهرت تجلياتها على الوسائط الإلكترونية، من

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

خلال ظاهرة الردود بين المشايخ والتي بدأت بالفرق الإسلامية، وهذا ما أدى إلى اختلاف وجهات النظر
الفقهية حول المسألة الواحدة.

وأثبتت وجود فراغ مؤسساتي على المستوى الديني الذي كان الأولى به أن يضمن تنسيق

الاجتهادات الشرعية قصد الوصول إلى إجماع حول الفتوى الواحدة، خاصة في الحالة المصرية.

وذلك بعد تولي وزير الدفاع المصري " السيسي " رئاسة دولة مصر، والإطاحة بحكم سابقه

الرئيس " مرسي "، وقد إستند الرئيس المصري الجديد بعد الانقلاب إلى مشروعية فتوى الشيخ علي

جمعة، في فض إعتصام رابعة، الذي جاء فيه:

«أضرب في المليان، إياك بأن تضحي بأفرادك وجنودك من أجل هؤلاء الخوارج، طوبى لمن

قتلهم وقتلوه من قتلهم كان أولى بالله منهم...»²

وقد أثار هذه الفتوى ردودا شديدة من طرفمشايخ مصر وعلمائها، على موقع اليوتيوب.

فتراوحت ظاهرة التراسق بالردود على مستوى الفضاء العمومي الرقمي بين ما تمت عنونته

ب " محمد حسان يرد ويفحم علي جمعة بعد فتواه، أسكت وضع لسانك في فمك " ³

وما بين ظهور نمط من الإتصال السياسي الديني المضاد للسلطة الحاكمة، برئاسة

السيسي.

الذي وجد حضورا مكثفا على مواقع التواصل الاجتماعي خاصة الفاسيبيوك، كبرنامج "فوق

السلطة" وهو برنامج داعم للإخوان المسلمين في مصر، أطلقتته قناة الجزيرة سنة 2016 وهو برنامج

سياسي ساخر يقدمه الإعلامي اللبناني "نزيه الاحدب" ⁴.

بالإضافة إلى برنامج "مصر النهارده" للإعلامي "محمد ناصر"، مع وجود صفحة رسمية لقناة

"مكملين" الإخوانية على مواقع التواصل الاجتماعي تسمح بتشارك مضامينها، الدينية السياسية

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

الداعمة للإخوان، وذلك في الأثناء التي لم يتغير فيها موقف الشيخ " يوسف القرضاوي " الذي ظل دفاعه عن الإخوان مستميتا وكان رده على خطاب الشيخ "محمد جمعة" أن وصفه ب " شهادة زور... وأن من علماء الأزهر من يناقضون القرآن"5.

إذ كان هذا الإحتدام الخطابي حول مخرجات الثورة المصرية، وظاهرة التناثر في الردود أمام الرهانات الجيوسياسية على مستوى الفضاء العمومي الدولي الرقمي يطرح إشكالية البعد الإستراتيجي عند كل خطيب.

اما حركة النهضة التونسية فقد أظهرت من زاوية مقارنة بظاهرة التشرذم الخطابي الديني السياسي المصري، كفاءة تكييفية بمقتضى مراعاة المصلحة الوطنية لتونس ، وقد شكل هذا المبدأ دافعية خطابية لرئيس حركة النهضة " راشد الغنوشي " جعلته محور خطاباته على ثلاثة مستويات:

1. التصعيد الخطابي من قيمة الإنتماء الوطني.

2. إستثمار ميكانيزم دفاعي عن المرجعية الإسلامية الوسطية، بإدانة مظاهر الإقصاء والإرهاب، وإحلال نموذج التسامح والتعايش في إطار إنتقالي من الوحدة الإسلامية إلى الوحدة الإنسانية.

3. تكييف المفاهيم الفقهية حسب متطلبات السياق الداخلي لتونس والرهانات الدولية، مراعاة المقاصد الشرعية، والإستدلال ب "أراء المذهب المالكي".

ولقد دعت الحركة بحلول سنة 2018 إلى:

"التهدئة والتعقل وتغليب المصلحة الوطنية وعدم الإنجرار إلى أجندة الفوضى وتهديد

الاستقرار"6.

وعليه فإن تراوح الظاهرة الخطابية الدينية السياسية بين الفوضى التي تحيل حالة عصابية على مستوى التحليل النفسي عند " فرويد " تكمن دوافعها في نوع من القلق المرضي، ناتج عن خلل تنسيقي بين وظائف التركيبة النفسية على مستوى ذات الخطاب "الأنا-الأنا الأعلى-الهو".

كما قد أسهمت طبيعة العلاقة بين السلطة الحاكمة في مصر و مؤسسات الخطاب الديني كالأزهري مثلا ، إلى أعراض "المخاوف غير المبررة " .

التي تجعل الظاهرة الخطابية الدينية السياسية، لا تستقل بمشروعها الديني الإجهادي العلمي، بل تتراوح بين المشروعية السلطوية، وما بين المشروعية المضادة للسلطة كما بينته الأمثلة، بين طبيعة الخطاب الأزهري ، في نص فتوى علي جمعة ، وما بين الخطاب الإخواني، ممثلا في ردود الشيخ "يوسف القرضاوي" .

في حين أن الخطاب الديني السياسي التونسي ممثلا في عينة مدروسة من خطابات رئيس حركة النهضة السياسية راشد الغنوشي، أبدى دافعية خطابية ، نحو التكيف الوطني، من خلال إستراتيجية، سعة أفق الإجهاد، التي تقتضي مرونة فقهية وتفعيلا للمقاصد الشرعية، ويعتبر هذا المسعى التكييفي، نوعا من البحث عن السواء النفسي، بالإقلال من الدوافع العدائية، ومحاولة إحتواء الخصوم السياسيين، من خلال فقه المصالحة الوطنية الشاملة.

تأتي أهمية مثل هذا الوعي السياسي ، وحتميته في ترشيد الخطاب الديني السياسي، من خلال ما تفرضه المقاربات التنظيرية الفلسفية الإتصالية السياسية من تحديات على مستوى الفضاء العمومي الرقمي الدولي.

فقد أثبت السياق الدولي ما بعد الحداثي تراجع مقاربة النظم السياسية لـ " دفيدايستون" حيث أن ثلاثية "مدخلات-علبة سوداء-مخرجات"7 لم تعد تسوعب كل الأبعاد التحليلية للنسق الدولي ما بعد الحداثي.

مع قصور "المقاربة الوظيفية حول مفهوم الدور في إستقرار النظام السياسي عند " روبرت ميرتون"⁸، وكذا المقاربة الصراعية في العلاقات الدولية القائمة على فكري المصلحة و النفوذ " هانتسمور غنتو" و " كينت ولترز".

لتحل مقاربة "فرانكل" حول مركزية الدول و أن العالم هو فوضى، و أن الدول الكبرى تبني السياسات العقلانية كواسطة للحصول على القوة و الأمن⁹، مع تنامي فاعل دولي مستحدث و هم المحافظون الجدد: "و يعتقد هؤلاء بأن تغيير الأنظمة أشبه بسياسة جذرية غير أنها الطريقة المثلى للحيلولة دون حصول أزمة نووية"¹⁰

إلى جانب هذه الأجندة المفاهيمية، أبدت المنظومة الحقوقية الدولية التي تعود أصولها إلى ميثاق حقوق الإنسان الصادر سنة 1948. و مفهوم القانون الدولي كمجموع اتفاقيات أو عرف دولي الذي من مجالات تطبيقه: الحروب الأهلية، حالات التمرد و العصيان المسلح داخل الدولة، الذي من أوجه التناقض فيه اعتباره "أن الاضطرابات السياسية: و هي كل أعمال تصل إلى حد الاشتباك مع قوات الشرطة و اعتقال المشاركين، و يكفل هذه الحقوق، قانون حقوق الانسان"¹¹.

في ظل تنامي هذه النزعة القانونية على مستوى مطالب الثورتين التونسية و المصرية، مع تهيكّل هذه المتغيرات في نسق طرح الاستراتيجية الجيوسياسية الجديدة.

التي تعود إرهاباتها إلى كتابات روجي غارودي في إطار قراءته للنصوص المقدسة للشرق الأوسط بوجود وعود تسمح بسكنى الأرض من بلاد النهرين إلى مصر¹². لتتمخض الإشكالية في

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

السؤال التالي: ما هي قراءة مقارنة التحليل النفسي لاستراتيجيات الإقناع في الخطاب الديني السياسي في سياق الثورتين التونسية و المصرية، في ظل متغيرات الفضاء العمومي الدولي الرقمي. **الفرضية:** أسهمت المرجعيات الفقهية المؤطرة لأنماط الخطابات الدينية السياسية ، في ظل سياق الثورتين التونسية و المصرية، في إحداث فروق جوهرية بينهما. تجلت في اختلاف طبيعة الاستراتيجيات الإقناعية المهيكلة لخطابات كل حالة، و التي تراوحت بين طابعين، الطابع الصراعى، كما تجلى ذلك في ظاهرة الخطاب الديني المصري، نظرا لتباين الأطر الفكرية و الإجهادية الدينية السياسية، للفرق الإسلامية ذات النزعة السياسية المتباينة ، "مؤسسة الأزهر في شخص المفتي علي جمعة، الإخوان المسلمون و السلفية بأنماطها "علمية و تجريرية" .

هذا ما يحيلنا إلى القول على ضوء مقارنة التحليل النفسي، بأن هذا الصراع الطائفي الديني أنتج حالة من مرض العصاب كعرض من أعراض الأمراض النفسية الأقل درجة من الفصام ، و يظهر ذلك في مظهر الصراع الخطابى في إطار الردود بين المشايخ تعبيرا عن نوع من القلق المرضى، إزاء تنامي النزعة الإنتمائية لطائفة دينية دون أخرى إلى غاية تطور المشهد الخطابى الدينى السياسى المصرى إلى حالة من الهستيريا الخطابية، خاصة إثر انقلاب وزير الدفاع المصرى السيسى على سابقه الرئيس الأسبق محمد مرسي.

في حين أظهر الخطاب الدينى السياسى ممثلا حسب الدراسة في خطابات رئيس حركة النهضة التونسية، ما يمكن وصفه بالترشيد الخطابى في إطار إحكام أولوية المرجعية الوطنية، مع تكييف المفاهيم الدينية وفق متطلبات السياق الوطنى التونسى و الدولى و ذلك في ظل إفرزات الإعلام الجديد، المبنية على تشارك المضامين، و ظهور التدفق المتعدد .

Many to Many

مع أجندة فلسفة المفاهيم ما بعد الحداثية سياسيا و اتصاليا المؤطرة دوليا لسياق الثورتين

التونسية و المصرية كالديمقراطية و حقوق الإنسان و التي شكلت في تظافرها مع السمات

الاجتماعية التواصلية للوسائط الرقمية الحديثة مفهوم الفضاء العمومي الدولي الرقمي.

التحليل:

لقد كانت الثورات العربية عوامل تحول اجتماعي و ثقافي و كذا سياسي، و لقد تمظهرت

الثورة التونسية، في صورة احتجاجية ناقمة على الأوضاع السائدة اجتماعيا و اقتصاديا.

و لقد أدت الاحتجاجات الشعبية في صورتها الجماهيرية إلى سحب شرعية النظام السياسي

التونسي السابق برئاسة الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي. و كان ذلك في "17 ديسمبر 2010"

تضامنا مع الشاب محمد البوعزيزي الذي قام باضرام النار في جسده... تعبيرا عن غضبه إزاء بطالته و

مصادرة العربة التي يبيع عليها الخضر و الفواكه من قبل الشرطة فادية حمدي"13.

و إثر وفاة هذا الشاب بجروحه البالغة في 12 ديسمبر 2011. كانت الحادثة سببا في مظاهرات

حاشدة، طالبت بالعدالة الاجتماعية و نددت بتفاقم البطالة، و الفساد الاقتصادي.

و لقد أسهمت الوسائط الإلكترونية، الرقمية كمجال حيوي متشعب الفضاءات من خلال مواقع

التواصل الاجتماعي في صناعة مخيال جمعي مجرد، يحمل قيمه الديمقراطية كمشروع سياسي.

و رغم محاولة الرئيس السابق زين الدين بن علي، احتواء الوضع من خلال استدخال جملة

إصلاحات ، بدءا بإصلاحات استعجالية على مستوى السلك الحكومي بإحالة عدد من الوزراء على

الإقالة، إلا أن الإرجاع الجماهيري على مستوى عملية الاتصال العمودي بين القمة و القاعدة أثبتت عدم

نجاعة مدخل التعديلات الحكومية، التي تدعمت بالخطاب الرئاسي الذي تبني "قرار فتح المواقع

المحجوبة في تونس كاليوتيوب بعد خمس سنوات من الحجب".

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

أمام عدم توافق المبادرات الإصلاحية مع أفق انتظار التونسيين. وجد الرئيس السابق زين

الدين بن علي نفسه مجبرا على التخلي عن رئاسة تونس مقرا التنحي و مغادرة البلاد بشكل

مفاجئ، و لقد تمخض عن هذا الفراغ الرئاسي مجموعة تطورات نلخصها كالتالي:

1. مخرجات الثورة التونسية:

1. الإعلان عن تولية الوزير الأول محمد الغنوشي رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة 14، بعد

تنحي الرئيس السابق زين الدين بن علي. حسب الفصل 56 من الدستور الذي كان سائدا.

2. خروج حوالي أكثر من 1000 متظاهر تونسي مطالبين "الرئيس المؤقت محمد محمد

الغنوشي" بانتخاب مجلس تأسيسي لوضع دستور جديد لتونس 15.

3. انتخاب المجلس التأسيسي في 14 ديسمبر 2011.¹⁶

4. تعيين المنصف المرزوقي رئيسا للبلاد الذي كلف محمد الجبالي الرجل الثاني، في النهضة

لتشكيل الحكومة. و ذلك وفقا لنتائج انتخابات المجلس التأسيسي في 23 أكتوبر 2011. و

التي حصلت فيها حركة النهضة على 89 مقعدا أمام حزب تونس من أجل الجمهورية 29

مقعدا.

و قوائم العريضة الشعبية 29 مقعدا أيضا.

- الشروع في التصويت على الدستور فصلا ، فصلا من 4 يناير إلى 27 يناير 2014.

أما عن أصداء هذه التحولات فقد أعرب "مروان المعشر وزير الخارجية الأردني الأسبق لقناة

CNN الأمريكية على أن عملية الإنتقال الديمقراطي في تونس " تمت بصورة سليمة ديمقراطية حيث

الموافقة على دستور يمثل حقوق الجميع... لكن البلاد تواجه ظروفًا اقتصادية صعبة و أخرى أمنية

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

تتمثل في دخول إرهابيين من ليبيا و هو الأمر الذي يعرض التجربة الفريدة التي يمر بها هذا البلد للخطر"¹⁷

بالإضافة إلى ظهور تكوين مؤسساتي تونسي جديد، يتمثل في الترويكما المتضمنة لحزب تونس من أجل الجمهورية و حزب التكتل الديمقراطي من أجل العمل و الحريات. قصد إيجاد صيغة مشتركة في طريقة حكم ائتلافي يتلاءم و الظرف الانتقالي الحرج الذي تمر به دولة تونس.

- خاصة و أن المرحلة الانتقالية اتسمت بمظاهر إرهابية، تمثلت في إغتيالات

للشخصيات الفكرية و السياسية، كاغتيال محمد البراهيمي المعارض اليساري.

و لقد اثرت هذه المتغيرات السياسية على الفضاء العمومي لنقاشات الشأن العام التونسي،

ليس على صعيده الداخلي فحسب، لأن السياسة الدولية ما بعد الحداثة، التي تؤطرها تقنيات الإعلام

الجديد، في وضعها التفاعلي و ما بعد التفاعلي لا تعترف بالسياسات الوطنية المنغلقة، و لذلك فإن

دواعي التغيير السياسي و الاقتصادي و الثقافي على مستوى الدول العربية و الإسلامية عموما، على

مستوى المناهج و المفاهيم، أصبح يبرر بمقتضيات العولمة، التي يلعب الفضاء العمومي الدولي

الرقمي حاليا دورا أكبر في توجيهها. هذا المفهوم الذي انبثق عن مفهوم الوساطة¹⁸ La médiation

عندها برماس الذي عرض أفكار ماركس قائلا:¹⁹

عن تمثل المحيط الطبيعي كأنه طبيعة موضوعية بالنسبة لنا فقط من خلال وساطة

الطبيعة الذاتية للإنسان بواسطة مناهج العمل الإجتماعي"²⁰.

و يعود هذا الطرح الماركسي بدوره إلى ما أفضت إليه فرضيات الفكر الهيغلي في المعرفة

متبلورة في "نظرية الأورغانون"²¹ أو "النظرية الأدائية" و ذلك: " في تصورنا لنقد المعرفة كاختبار

لأدواتها. و عليه فإن مفهوم الوساطة، من منطلقات فلسفة المعرفة أضاف إليه "هابرماس" المعطى المفاهيمي التفاعلي من خلال تشكيل الإرادة السياسية، و تصبح الحكومة أداة للإدارة العمومية، مع حضور بعد أخلاقي يتواطؤ الجميع على إقراره في ظل مفهوم الفهم الجمالي الجمعي للهوية²².
واصل هابرماس تعميق رؤيته لهذا المشروع من خلال مدخلات النقاش العمومي، باعتباره المواضيع المناقشة "جوهر مجردا" substance abstraite و أنها تصبح واقعا مجسدا un réel concret من خلال القرارات السياسية و التشريعات القانونية²³.

إسقاط هذه الأفكار الاتصالية من مقاربة فلسفية سياسية على وقائع مجتمع المعلومات في ظل التغيرات السوسيوثقافية التي يطرحها نظام الرقمنة، و آليات التواصل الاجتماعي على المستوى الشبكي، في ظل تأطير سياسي و حقوقي دولي للمنظومة القيمية، التي تحكم هذا الواقع الاتصالي، كقيمة الديمقراطية، سياسيا، التداول على السلطة، حقوق المواطنة و الحريات الأساسية.

و في علاقة الفضاء العمومي الرقمي في بعده الدولي كحصيلة تطويرية بالنسق المفاهيمي "للفضاء العمومي" ذهبت دراسة الأستاذ محمد ناشى حول الثورة التونسية إلى نتيجة مفادها: أنه لا بد من "محاولة فهم الأسس الاجتماعية للديموقراطية و استدخال النقاش حول التنظيم الخاص في رحم المجتمع المدني. و أن الغاية تتجلى في تطوير خطاب واقعي عقلاني نقدي ينشد حلا لمختلف السياسات"²⁴. مؤكدا على تبلور مفاهيم جديدة: الديمقراطية الرقمية، فضاءات اتصال جديدة، التجنيد عبر الخط.

و اعتبرت الدراسة أنه من شأن هذه المتغيرات: أن تشكل تحديا لحكومة ما بعد الثورة.²⁵

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

و قد أسهمت التغييرات السياسية في تونس إلى ظهور التعددية الحزبية، و ظهور حزب النهضة الإسلامي كطرف في التشكيلة التونسية السياسية، مع انخراط الخطاب الديني السياسي في مناقشة الشأن العام التونسي في ظل إحداثيات الفضاء العمومي الرقمي الدولي. و يعود الظهور السياسي لهذه الحركة إلى أول لقاء تنظيمي في أبريل سنة 1972 حيث كانت تلقب بالجماعة الاسلامية و اقتصرت على النشاطات الدعوية المسجدية... تغير اسمها إلى حركة الاتجاه الاسلامي، و أصبحت باحثة عن الترخيص القانوني لمباشرة العمل السياسي علنا. و ألقى القبض في 8 جوان 1981 على 107 عضو من قيادات الحركة بتهمة الانتماء إلى جماعة غير مرخصة قانونيا²⁶.

مع تواصل الاصطدامات الأمنية بينها و بين السلطة التونسية إلى غاية سنة 1990. ليدخل هذا التشكيل الحركي مرحلة إعادة البناء في ظل تداعيات الثورة التونسية حاصلًا على ترخيص في 01 مارس 2011 مع الاسهام التشاركي في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والاصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي ثم فوزها ب 89 مقعدًا من أصل 217، و ظهورها كعنصر فاعل في الترويكا. و لقد كان للهيكلية الخطابية لرئيس الحركة ذات النمط الديني السياسي بعدا وظيفيا في مسار الحركة في سياق ما بعد الثورة التونسية، و في إعادة بناء مؤسسات الدولة من خلال استثمار الأرضية الرقمية التواصلية لبث اجتماعات، و خطابات رئيس الحركة، من خلال الموقع الرسمي للحركة و ذلك على صفحة الفايسبوك، و كذلك من خلال مقاطع اليوتوب و لقد أفضت دراسة عينة من خطابات راشد الغنوشي في سياق متغيرات الثورة التونسية إلى مجموعة من النتائج على مستوى الاستراتيجية الاقناعية المعتمدة من مقاربة تحليلية نفسية إلى النتائج التالية:

1. تبني استراتيجية قائمة على الحجية القرآنية و السننية المتداولة لدى عموم الأفراد. كقصار

السور: سورة الناس، الماعون، الهمزة.

مع توظيف الأحاديث النبوية على نحو مواز دون تخريج للحديث أو الوقوف على شروحاته

المعتمدة. و ذلك كآلية إقناعية في إطار تبسيط معاني الإسلام، و التركيز على ربطها بالواقع الداخلي

التونسي من خلال تأكيده على المصالحة الوطنية كقيمة خطابية، لها مشروعيتها الدينية، في إطار

تحقيق الوحدة التونسية، من باب احتواء الاختلافات الايديولوجية الموجودة على الساحة السياسية

التونسية، مؤكداً أن مفهوم "التوحيد الإلهي المطلق" يستلزم تحقيق

"الوحدة النسبية" أي تحقيق التقارب المجتمعي على جميع الأصعدة، و كذلك تجاوز المصالح

الخاصة لأجل المصلحة الوطنية.

كما أرسى استنباط مشروعية مفهوم "الوحدة الإنسانية" مستدلاً : أن الخطاب القرآني تمحور

حول نمطين، "ياأيها الذين آمنوا..." و "ياأيها الناس"، مع انتهائه إلى أن الدراسات الإسلامية قصرت في

مناهج الاجتهاد على مستوى الخطاب الثاني، الذي من شأنه التأسيس للمشروعية الإسلامية لحقوق

الإنسان.

كما ركز على تكييف المفاهيم الفقهية، وفق مقتضيات الواقع، كقرنه الجانب التعبدي

الشعائري بأنه لا يتم إلا من خلال تحقيق "المعاني الإجتماعية"، كصور التكافل و التضامن

الإجتماعيين.

مع اعتماده على الأخذ بآراء السادة المالكية، و من ذلك الأخذ بحجية ابن عبد البر المتضمنة

لفكرة حرية العقائد و الأديان و لو على إقليم دولة مسلمة حيث قال: تعطى النمة و لو لعابد وثن". و

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

لقد عرفت هذه المدرسة الاجتهادية بتوخي المصالح الشرعية في الفتاوى و خصوبة الفكر الفقهي باستخدام مشروعات اجتهادية:

كالمصالح المرسله: و هي تلك المصلحة التي لم يشهد لها من الشرع دليل جزئي يدل على ضرورة اعتمادها أو إلغائها.

- سد الدرائع: "عرفها الشوكاني: أنها المسألة التي ظاهرها الإباحة و يتوصل بها إلى فعل المحظور"²⁷.

- العرف: ورد في المستصفي عند الإمام الغزالي قوله: أن العرف هو ما استقر في النفوس من جهة العقول، و تلقته الطباع السليمة بالقبول"²⁸.

بالإضافة إلى القياس لاستخلاص الأحكام الشرعية، و تحقيق المناط أي البحث عن العلة

المناسبة في الحرمة و تتبعها لاستخلاص الحكم الذي يتم القياس عليه.

وتساهم هذه الأليات الإجتهدية في تحقيق المقصد العام من التشريع المتمثل: "في حفظ

نظام الأمة و استدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه و هو الإنسان"²⁹

و يأتي هذا التخصيص للمذهب المالكي في الخطاب الديني السياسي لرئيس حركة النهضة

التونسية كاستراتيجية اتصالية إقناعية مواجهة للخطاب الديني المتطرف، الذي تتبناه التنظيمات

الإجرامية ذات المنزع الديني الإرهابي "داعش".

و تعود الأصول الفكرية لهذه الفرقة إلى النجدات العاذرية و هم أصحاب نجدة بن عامر

الحذيفي و إنما قيل النجدات العاذرية لأنه عذر بالجهالات في أحكام الفروع... و أجمعت ألا حاجة للناس

إلى إمام قط"³⁰.

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

و لذلك كانت فكرة انهيار الدولة أهم فكرة قام عليها مشروع الإرهاب من الخوارج إلى

داعش". في ظل تنامي خطر التطرف الفكري الديني و حفاظا على مشروع الدولة التونسية اندرجت

خطابات رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي تحت أفق السياسة الدينية العامة لدولة تونس

المقتضية ضرورة ترشيد الخطاب الديني على جميع المستويات.

و من الفعاليات التي تم عقدها في هذا الإطار "مؤتمر تونس حول تأصيل الخطاب الديني و

تطويره ضمانا لإنجاح الديمقراطية بتاريخ 6 أكتوبر 2016. قصد الخروج بميثاق تونس للخطاب

الديني المعتدل من أجل بناء السلام³¹.

و الذي من أهم ما انتهى إليه:

1. فكرة بناء فقه الواقع الجديد³².

بالإضافة إلى الملتقى الإقليمي حول الخطاب الديني في مواجهة الفكر التكفيري المنعقد

بتاريخ 28 سبتمبر 2016 بمشاركة وزير الشؤون الدينية التونسي عبد الجليل بن سالم و أعرب عن أن

الخطاب الديني في المساجد التونسية ضعيف مضيئا أنه سيتم تطوير المدرسة الزيتونية التي يعد

التنوير و التحرير و الإجتهد قوامها حسب تعبيره³³.

و تأتي هذه المساعي التوافقية دوليا مع الإجراءات الفرنسية في بناء إستراتيجية جديدة

للخطباء الدينيين في فرنسا. تتوافق مع قيم الجمهورية.

"حيث أعلن المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية توزيع نص رسمي على نحو 2500 مسجد

يدين كل أشكال العنف و الإرهاب مع التأكيد على الالتزام الثابت بالميثاق الجمهوري...بتاريخ 18

نوفمبر 2015³⁴.

أمام هذه التطورات سعى خطاب حركة النهضة التونسية على لسان رئيسها راشد الغنوشي إلى طرح بدائل سلمية في مفاهيم السياسة الشرعية، و في إطار مبدأ الوحدة الوطنية، من أهمها مفهوم "إدارة التعدد" و المقصود بها سياسة الشأن العام تقتضي إدارة الاختلافات الايديولوجية بما في ذلك تحقيق مصالح المجتمع على جميع الأصعدة. ردا على طرح "إدارة التوحش كأخطر مرحلة ستمر بها الأمة للمدعو أبو بكر ناجي أحد منظري الفكر الجهادي المعاصر"³⁵.

الثورة المصرية:

إن مشهد الثورة المصرية يطرح واقعا اتصاليا سياسيا يهيكله الخطاب الديني السياسي من عدة اتجاهات مؤسساتية، و أطر مرجعية فقهية.

و لقد زامت الظاهرة الخطابية بمتغيريها الديني و السياسي، الثورة المصرية بكل مراحلها. انطلاقا من سلسلة المظاهرات التي وافقت تاريخ 25 يناير 2011 و مست مختلف محافظات مصر في اليوم الذي يتزامن مع عيد الشرطة و قامت تنديدا بقمع الشرطة و قانون الطوارئ و البطالة³⁶.

واستمرت التوترات إلى غاية إعلان نائب الرئيس "عمر سليمان"، تنحي الرئيس مبارك عن رئاسة البلاد ليتولى المجلس الأعلى للقوات المسلحة هذا الشغور.

مخرجات الثورة المصرية:

1. التعديلات الدستورية التي سمحت بظهور تعددية حزبية منها حزب النور السلفي، و حزب الحرية و العدالة الناطق باسم الإخوان المسلمين.
2. إعلان اللجنة القضائية العليا بتاريخ 20 يناير 2012 لانتخابات مجلس الشعب بتاريخ 20 فبراير 2012: أن الإسلاميين من مختلف التيارات حصلوا على أكثر من ثلثي مقاعد المجلس.

3. الانتخابات الرئاسية التي صار بمقتضاها مرسي رئيسا للبلاد.
4. في 12 أوت 2012 الرئيس السابق مرسي يقيل المشير الطنطاوي قائد الجيش و الفريق سامي عنان رئيس الأركان و يعين الفريق عبد الفتاح السيسي.
- إصدار الرئيس مرسي إعلانا دستوريا منح نفسه به سلطات واسعة... لتندلع للتظاهرات الغاضبة في مختلف ميادين مصر و ظهور حركة تمرد و حصولها على توقيعات قصد عزل الرئيس السابق مرسي.
- 14 أوت 2013 قوات الأمن تفض المعتصمين المؤيدين للرئيس المعزول مرسي مع وقوع عدد كبير من الضحايا.
- إقرار الدستور المصري الجديد بتاريخ 18 يناير 2014.
- في السنة ذاتها إجراء الانتخابات الرئاسية و الإعلان عن فوز المشير عبد الفتاح السيسي بنسبة 96.9٪.
- المرجعيات الدينية الاسلامية للخطاب الديني السياسي في سياق متغيرات الثورة المصرية:
 1. **الإخوان المسلمون**: يمثل نتاجا تربويا، إجتماعيا علميا، دينيا و فكريا لنخبة من ممثلي هذا التيار الفكري. و لقد علق الشيخ يوسف القرضاوي على هذا الحراك بمفهوم: الصحوة الإسلامية و هي تقدم نظرتها لإنقاذ الوطن العربي في صورة مشروع إحياء متكامل يعيد إلى الفرد الثقة و الأمل و إلى الأمة استقلالها، الحضاري، و انتمائها، و يقودها في طريق الاستقلال الحضاري و التميز الثقافي³⁷.
 - و لقد ارتبط سياق ظهور هذه الحركة بواقع اجتماعي اقتصادي و ثقافي في حكمته عوامل تاريخية في مصر فيذكر حسن البنا مثلا: مكتب إدارة شركة قناة السويس في بهائه و روعته و سلطانه و سطوته و استخدامه المصريين و معاملته إياهم معاملة الأتباع المضطهدين³⁸.

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

و عرفت الحركة بمشاركتها السياسية، و إقرارها العملي للمجالس النيابية و تكييف المفاهيم

السياسية ما بعد الحداثية كالديموقراطية و حقوق الإنسان في إطار خطاب الحركة من مقاربة

إسلامية.

كما تصب اتجاهات المفكر طارق رمضان في هذا الاتجاه من خلال معالجته لقضايا المسلمين

المغتربين بين مقاربتى مقاصد الشريعة، و التشريع الغربي و ذلك في إطار فكرة المجتمع المتعدد " la

société plurielle" الذي تتعايش على إقليمه ثقافات مختلفة مما يطرح جملة من التحديات³⁹.

من السمات الخطابية لحركة الإخوان.

1. الطابع الخطابى الثورى نظرا للسياق التاريخى للحركة الذى ولد لديها استشعارا بالاضطهاد

على مستوى مشروعيتها الحقوقية هذا ما بلور عندها على ضوء التحليل النفسى "عقدة

نقص" تحولت إلى دافعية خطابية ثائرة كمحاولة تعويضية لإعادة بث التوازن الداخلى بين

قوى التركيبية النفسية. تخللته مظاهر القلق التى تفاقمت إلى أعراض اهيستيرية خطابية.

بعد أحداث الانقلاب المصرى و فض اعتصام رابعة بالقوة.

و هو ما يمكن إدراجه فى " مقاومة الكبت عند فرويد"، هذا ما أدى إلى طابع خطابى إخوانى

عصابى بسبب: تاريخية من الاتجاهات العاطفية المتعاكسة أو بالأحرى المتناقضة

و جدانيا التى لا مناص من أن تتفازع فيما بينها⁴⁰.

و لقد ظهرت بوادر النزاع أو الصراع الخطابى النفسى الإخوانى ليس بين الحركة و السلطة،

بل و أيضا مع باقى الفرق الإسلامية فى مصر التى تراوحت مواقفها الخطابية بين تخطئة الإخوان، و

المهاجمة الخطابية لطرح الشيخ يوسف القرضاوى فى دفاعه المستميت عن شرعية الرئيس المعزول

مرسى.

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

و من هذه الفرق:

المداخلة: تسير على منهج شيخ سعودي اسمه ربيع بن هادي المدخلي... و هو لا يرى في

الحركات الإسلامية خيرا يذكر وديدنه الجرح و التشهير بكل من لا يسير على دربه وأشهر رموزهم في مصر على الإطلاق محمد سعيد رسلان⁴¹.

و تتمثل خطابه في مضامين قناة البصيرة المصرية، و التي عكف من خلالها على خطاب

تجريحي في الإخوان المسلمين. و تعتبر نزعة التفوق على الأقران، كظاهرة بين الخطباء الإسلاميين، حقيقة تعبر عن البعد النرجسي في الخطاب الديني السياسي.

البراهمة: اختصارا لمسمى الدعوة السلفية في الإسكندرية، نسبة إلى شيخهم ياسر برهامي

يمثل هذا التوجه سياسيا حزب النور.

و لقد أبدى برهامي دعمه الانقلاب على الرئيس مرسي، ليظهر الشيخ حازم أبو إسماعيل

كمخالف له⁴².

و يمكن قراءة هذه الانشقاقات على مستوى الفرق الإسلامية بالخطابات الفصامية أي ثنائية

خطابية في ذات واحدة.

بالإضافة إلى السلفية العلمية: لها مشايخها البارزين إعلاميا الشيخ محمد حسان-الشيخ ابو

اسحاق الحويثي الشيخ محمد حسين يعقوب.

لقد اشتغل هؤلاء بالعلم و الدعوة على حساب الابتعاد عن الشأن السياسي فتسبب ذلك في

ظهور قطيعة بين خطاب هذه الفرقة، و فقه الواقع السياسي.

إشكالية الخطاب الديني السياسي _____ ط. د. / محمد بلقاسم صبرينة ، أ. د. / بن غربية فلة

من خلال عرضنا للمرجعيات الدينية الخطابية المصرية في سياق متغيرات الثورة المصرية يتضح لنا:تعقد مظهر الخطاب الديني السياسي المصري، نظرا لتعدد مرجعيات الفتيا، التي قد تكون حتى مؤسساتية، كفتوى علي جمعة، باعتباره أزهريا.

بالإضافة إلى غلبة مظاهر الصراع الخطابي الديني السياسي، و غياب مبادرة التنسيق الخطابي في إطار مؤسساتي.

هذه الأعراض جعلت صفة العصاب الخطابي كحالة نفسية مرضية نابعة من تنامي التوترات الداخلية و هدفا للمشهد الخطابي المصري في سياق الثورة التونسية.
و يعكس الخطاب الديني السياسي التونسي الذي سعى من خلال دراسة عينة خطابات راشد الغنوشي إلى تحقيق تكييف خطابي ديني سياسي و طني مما يجعل من الحالة الخطابية الدينية السياسية التونسية أقرب إلى السواء.

اقتراحات الدراسة:

- تفعيل الاستراتيجية الإدارية التسويقية قصد حسن إدارة الخطاب الديني السياسي مع تحديد أهدافه و التي تتمحورها مقاصد: الوسطية- السماحة الدينية-التسامح الطائفي.
- مبادرة التنسيق الخطابي الفقهي الديني السياسي، حيث أن وجود مجمع فقهي خاص بكل دولة يسمح بوجود مرجعية واحدة للفتيا.
- استعانة المجمعات الفقهية بالخبراء من مختلف التخصصات الإجتماعية، الانسانية و اللسانية، نظرا لاقتران ظاهرة الخطاب الديني عموما بالوسائط الرقمية و مواقع التواصل الاجتماعي مما يرفع نسبة التحديات.

- ترشيد الخطاب الديني السياسي خصوصا بإدانة التشدد و التطرف الخطابى

الهوامش:

1عزي عبد الرحمن ، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر إعلامي متميز، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص29.

2-www.google.comhttps://www.youtube.com/watch?v

3-www.google.comhttps://www.youtube.com/watch?v

4-www.google.comhttps://ar.wikipedia.org/wiki/

5-www.google.comhttps://www.youtube.com/watch?v=volpocuquizkueالقرضاوي يرد على جمعة

6-www.dailysabah.com.arabic/arab-world12018/09/10 حركة النهضة التونسية تحذر من خطاب تحريفي دموي مع إستمرار الإحتجاجات

7-عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية و الإعلام، ط2، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص29.

8 -نفس المرجع، ص29

9 نفس المرجع ، ص84

10أرونسلزر، المحافظون الجدد. تر:فاضلجنكر، الرياض، العبيكان 2005، ص84.

11أ.د. سهل حسين القلاوي، عماد محمد ربيع، القانون الدولي الإنساني، ط1، عمان، دار الثقافة للنشر و التوزيع -- 2000، ص20.

12 روجي غاردي-الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، تر: حافظ الجيالي و صباح الجهينم-ط1-بيروت-دار الفرابي 1996 ص48.

13www.google.com1www.google.com http://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة التونسية

14www.google.comhttp://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة التونسية

15www.google.comhttp://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة التونسية2

16: http://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة التونسية

17www.google.comhttp://ar.wikipedia.org/wiki/الثورة التونسية2

https://Arabic.CNN.com.H.middleeast2016/04/06 in Tv-amnapour-munsker-Tunisian.3

- 18- Jurgen Habermas, connaissance et interet traduit par Jean Marie Brohm-france, gallimard1991, p 46.
- 19-IBID P45
- 20-IBD, p 46.
- 21- IBID42.
- 22-Jurgen Habermas, L'intégration républicaine, Essais de la théorie politique, traduit par, Raices Rochli-Paris-Fayard-1981-p 86.
- 23-Jurgen Habermas, Morale et communication traduit par Bourchin d'homme-France, champs Flammation-1999-p,131.
- 24-Sous la direction de Hassan ramaouch et abdelhamidhonia ; les espaces publics au Magreb, Algérie, centre de recherche, 2013, p25.
- 25- Sous la direction de Hassan ramaouh et abdelhamidhonia, les espaces publics au Magreb,opcit, p25.
- 26-[http://hor.wikipidea.org/wiki/الأحزاب الإسلامية في تونس](http://hor.wikipidea.org/wiki/الأحزاب_الإسلامية_في_تونس)
- 27-محمد محدة. مختصر أصول الفقه الإسلامي، الجزائر، دار الشهاب، ص 269.
- 28-نفس المرجع السابق، ص 288.
- 29 -الإمام محمد طاهر بن عاشور-مقاصد الشريعة الإسلامية-ط2-تونس-دار السلام، 2014، ص68.
- 30 -أبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني-الملل و النحل-مصر المكتبة 2003، ص42.
- 31- الأستاذ لخضر رابحي، من الخوارج إلى داعش-قراءة في منهج العنف و عقيدة الدم-مرجع سبق ذكره ، ص18.
- 32 -www.google.comhttp://alarab.Co.uRI/?d191540.
- 33-www.google.comhttp://babnet.net/co/cadretail/131543
- 34-www.google.comhttp://arabbie.rt.com.news80094 المجلس الفرنسي للديانة الفرنسي
- 35- الأستاذ لخضر رابحي، من الخوارج إلى داعش، مرجع سبق ذكره، ص19.
- 36-www.google.comhttp://marefa.org/2011 الثورة المصرية
- 37 يوسف القرضاوي، الصحة الإسلامية و هموم الوطن العربي و الإسلامي، ط2، الجزائر، الرحاب1989، ص 110.
- 38- حسن البنا، مذكرات الدعوة و الداعية، الجزائر: دار التراث الحصري، ص10.
- 39-www.google.comhttp://Tv.wikipedia.org/WiKi/Tariqramadhan.
- 40- سيجموند فرويد، النظرية العامة للأعراض العصابية، تر:جورج-طولد بيشي-بيروت-دار الطليعة للطبيعة و النشر 1982 ص 60.
- 41-www.google.comhttp://hulfpostarabic-com/mostapha-elbadry1990-b1463936Html.
- 42-<http://hulfpostarabic.com/mostafaElbadri-990-bl4632936html>.

